

الرؤية الإسلامية في الأدب

مقاربة نظرية

أ. آمال لواتي

جامعة الأمير عبد القادر

لقد تجاوزت الرؤية الإسلامية المذاهب الفكرية والفنية الحديثة بأن كانت رؤية واضحة المعالم، سليمة التصور، فهي " التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية"¹، يستطيع الأديب المسلم من خلال ذلك الامتلاء النفسي أن يجعل رؤيته " ضخمة جادة، فاعلة، خالقة، منشئة، تملأ فراغ النفس والحياة، وتستنفذ الطاقة البشرية في الشعور والعمل، وفي الوجدان والحركة، فلا تبقى فيها فراغا للقلق والحيرة، ولا التأمل الضائع"². فيبسط نزعتة الإيمانية من خلال مصدر عظيم هو الدين الذي "يتغنى بالفضائل الإنسانية ويدعو إليها، فالأخوة البشرية ركن وطيد من أركانه، والعدالة معلم بارز من معالنه الشامخة، والحرية سمة مشرقة من سماته السمحة، والحب شذى حلو يعطر مبادئه ومقاييسه الخالدة، والرحمة صفة حميدة تخضع لشوكة الأقوياء وتعضع قضية الضعفاء المغلوبين"³. ولهذا فارتباط الأدب بالإسلام يبرز بلا شك حقيقة عميقة لفن إسلامي أصيل. لا نه لا يستمد مقاييسه وكيانه من واقع فلسفة منحرفة، وإنما من

¹ سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، ط 6، القاهرة، دار الشروق، 1403 هـ / 1983 م، ص 28.

² المرجع نفسه، ص 15.

³ نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية، ط 4، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1405 هـ / 1985، ص 11.

الرؤية الإسلامية أ. آمال لواتي

واقع تصور إسلامي. ومن هنا أكتسب خاصيته وتعريفه على أنه <التعبير الجميل عن حقائق الوجود، من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود... وليس من الضروري أن يتحدث الفن الإسلامي عن الإسلام: حقائقه، وعقائده، وشخصياته، وأحداثه. وإن كان من الجائز بطبيعة الحال أن يتناول كل هذه الموضوعات ولكنه يتناولها كما يتناول الوجود كله، وكل ما يجري فيه، من زاوية إسلامية ويستشعرها بحس إسلام¹.

إن المبدع المسلم الحق، يجد الطريق أمامه ميسرا حين يوهب الملكة الفنية، لأنه يعيش المفاهيم الإسلامية بالفعل وينفعل بالأشياء والأشخاص والأحداث من خلال هذه المفاهيم دون افتعال أو جهد مبذول، لأن الإيمان "يفجر في وجدان الفنان المسلم -أكثر من غيره- شعورا حادا بالزمن، ويدفعه إلى مزيد من التعبير باعتباره عملا يتقرب به إلى الله على الطريقة الإسلامية الفذة، يترع به متطلبات وجوده الحساس من جهة. ويصوغ مصيره من جهة أخرى. فليس ثمة ازدواج وثنائية بين الوجود والمصير في الإسلام، أي بين دوافع الحياة الدنيا وأهداف الإنسان في الحياة الأخرى².

فالرؤية الإسلامية إذن استطاعت منذ ظهور نور الإسلام، أن تقدم للمبدع تصورا شاملا في شتى المجالات الروحية والعقدية والنفسية والسلوكية والواقعية والإنسانية وكل الآفاق المستقبلية. وكان لهذه الرؤية عذة خصائص ميزتها عن بقية الرؤى الفاعلة في أدبنا العربي بتخطيها اتجاهها معاكسا للاتجاه التغريبي، وإحيائها للاتجاه المحافظ الأصيل، وهي خصائص مميزة للرؤية الإسلامية في الأدب ونابعة من خصائص التصور الإسلامي القائم على الهدى القرآني، ومنها:

1 محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط 5، القاهرة، دار الشروق، 1401 هـ / 1981 م، ص 119.
(11) عبد الرحمن خليل إبراهيم، دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول، الجزائر، الشركة
2 عزيز السيد جاسم، دراسات نقدية في الأدب الحديث، ط 1، بغداد، مطبعة الإدارة المحلية، 1970، ص 97.

الرؤية الإسلامية أ. آمال لواتي

1 - الإسلامية: هي ربط وجهة النظر الدينية للإنسان والكون والحياة بالمفاهيم الأدبية. وهنا يجب استبعاد فكرة المذهبية الضيقة التي تحصر الأدب داخل قواعد مصطنعة لان "الشعر ليس عقلنه للعالم أبداً، فهو ليس هندسة عقلية. إنه مزيج متكامل من العقل والحس والحدس، مزيج بين الشخصي والجماعي. بين الذاتي والكلي، بين الفكر والتجربة، وهذا المزيج ليس خلطاً صناعياً أو عقدياً بل هو مزيج العالم الذي يحوي كل شيء، المزيج الديالكتيكي التاريخي.. والمذهبية المرسومة المدروسة المفروضة تخريب وتمزيق للوعي، والقصيدة كجبهة بين الوعي واللاوعي لا ترضخ أبداً للمذهبية إلا في حدود التجربة الصادقة، التجربة الإنسانية المنكشفة"¹. ولهذا فالإسلامية في الأدب أوسع وأرحب من أن نقيدها بفكرة المذهبية، "فالأدب أوسع من أن نحصره في قواعد أوفي قيود من القواعد المحلية أو الطارئة، والإسلام دين إنساني شامل لا يعرف حدود الزمان والمكان، وإن تلائم معهما وتماشى مع منطقهما المتطور المتجدد الأشكال. الثابت الجوهر. وتبعاً لذلك تكون الإسلامية من الوجهة الأدبية والفنية أرحب من المذاهب وأسمى من القيود"². كما أن فكرة الإسلامية تتجاوز مجموعة الحكم والمواظع والمواضيع الدينية المحضة بتصور رحيب عن الكون والحياة والإنسان. وتنتهي بوضع أعمق وأوسع وأثرى بسبب اختلافها عن التصور الفلسفي، لان "التصور الفلسفي ينشأ في الفكر البشري -من صنع هذا الفكر- لمحاولة تفسير الوجود وعلاقة الإنسان به. ولكنه يبقى في حدود المعرفة الفكرية الباردة. أما التصور الاعتقادي -في عمومته- فهو تصور ينبثق في الضمير، ويتفاعل مع المشاعر. ويتلبس بالحياة، فهو وشيخة حية بين الإنسان والوجود. أو بين الإنسان وخالق الوجود"³.

1 نجيب الكيلاني، المرجع السابق، ص 47.

2 سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط 10، القاهرة، دار الشروق، 1988م، ص 43-44.

3 صالح آدم بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، ط 1، جدة، دار المنارة، جدة، 1405 هـ / 1985 م، ص 73.

2 - الغائية: إن الرؤية الإسلامية لها هدف وغاية مقصودة من ورائها هي "تغيير الحياة

وتطويرها وترقيتها إلى المستوى الأسمى عن طريق بذر العقيدة وترسيخها في الصدور، وغرس مبادئ الخير والجمال في النفوس، والتباعد من الرذيلة والقبح والشين" ¹. وهي دعوة صريحة للالتزام بالاستمداد من القرآن الكريم الذي عرض المسألة من زاوية أكثر موضوعية وشمولا بتأكيدهِ على أن الشعر إذا كان هيمان غير عقلاني وليس له ضابط أو وازع فهو غير ملتزم أبدا، كما نتبينه من قوله تعالى {والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيرا، وانتصروا من بعد ما ظلموا، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}. فبإلقاء نظرة على حشود الشعراء عبر تاريخ البشرية، فإننا نلتقي بعدد من الشعراء، كان شعرهم نزوة عابرة، ورؤية موقوتة، حتى أنهم فقدوا بمرور الوقت قدرتهم على التأثير. ويُسْتثنى أولئك الشعراء الملتزمون الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا، وهم الذين تتحول الكلمة لديهم إلى سلاح وفعل إبداع، يرون من خلالها المسالك والدروب، ويتحسسون مساحات الضوء والظلام، ويحاربون جاهلية عصرهم، فلا يتيهون ولا يهيمون ولا يهربون من القيم التي تحفظ لهم وجودهم الإيماني ²، وأصبح الشعر عندهم رسالة إنسانية لا قرار الحق والدعوة إلى العدل والانتصار للعقيدة ³.

فالأديب المسلم يترفع عن أن يأتي عبثا مضيعا، وأن يهدر طاقته الخلاقة، لعلمه أنه محاسب على كل شيء يأتيه: مصدقا قوله تعالى { أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون }

¹ الشعراء/ 224 — 227.

² انظر: نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، ط1، الدوحة، مطابع الدوحة الحديثة، 1403 هـ — /

1974 م، 75 — 86.

³ عبد الرحمن خليل إبراهيم، دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971 م، ص 242-243.

الرؤية الإسلامية أ. آمال لواتي

1. فالالتزام الذي نريده -إسلاميا- يختلف عن ذلك الالتزام الذي عرفته المذاهب الأدبية الأوروبية خصوصا "الواقعية الاشتراكية" و"الوجودية". فهو أعلى وأرقى درجات الالتزام لأنه "يبرز القيم العقيدية والخلقية السائدة في مجتمعه والمنبثقة من الإسلام، فيحبب الإيمان ويدعو إلى صحة المعتقد ووجوب سريان هذه القيم في منسربات الحياة، ويعمل على ترسيخها وتثبيت دعائمها والإشادة بها في أدبه وعمله الفني. وأن يتحاشى زعزعتها. وتقويضها... بأسلوب الأديب الفنان وبايحاءاته لا بتقريرية العالم. ولا بطريقة الواعظ. أو بخطابية السياسي أو المصلح الاجتماعي. فلأولئك طرائقهم بأساليبهم التي توصلهم إلى أهدافهم وغاياتهم وهم أدري بها. فإذا اتخذها الأديب نهجا له أخفق" 2.

3 - **الإيجابية:** وتمكن في أنها رؤية متفائلة ترفض الشر والضلال واليأس والتشاؤم والاغتراب. وتحفل بإبراز الحق والخير والعدل والأمل والجمال في الكون والطبيعة والأنفس والمشاعر، والأفكار والقيم انطلاقا من التصور الإسلامي للإيجابية الفاعلة في علاقة الله سبحانه وتعالى بالكون والحياة والإنسان. لأن هذا التصور الإسلامي "ليس تصورا سلبيا يعيش في عالم الضمير قانعا بوجوده هناك في صورة مثالية نظرية أو تصوفية روحانية، إنما هو تصميم لواقع مطلوب إنشاؤه وفق هذا التصميم... هذا ما يثيره التصور الإسلامي في شعور المسلم... ومن ثم يجد دائما هاتفا ملحا في أعماقه، يهيب به إلى تحقيق هذا التصور في دنيا الواقع ويؤرقه حتى يهُب للعمل، ويفرغ طاقته الإيمانية كلها إلى هذا العمل الإيجابي البناء. وفي إنشاء واقع تتمثل فيه هذه العقيدة في حياة الناس" 3. لأن الإسلام يمنحه "قوة هائلة لا حدود لها تعينه على التغيير والتبديل. وتجعل منه كائنا إيجابيا فعلا يقاوم الضعف الذي في داخلها. والفساد الذي هو في

1 المؤمنون/ 115.

2 صالح آدم ييلو، المرجع السابق، ص 66-67.

3 سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص 157.

الرؤية الإسلامية أ. آمال لواتي

خارجه ويحيط به " 1. وقد شملت كثير من الآيات القرآنية هذه الإيجابية التي حاولت الرؤية الإسلامية في الأدب احتواؤها في قوله تعالى: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} 2؛ وقوله عز وجل: {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون} 3.

4 - الواقعية: لا نقصد هنا الواقعية المتعارف عليها في الآداب الغربية بمعناها الضيق المحدود. وننسى الواقع الإنساني الذي يشمل حياة الإنسان كلها زمانا ومكانا. فالواقعية في الإسلام تعني واقع الإنسان الحقيقي الكبير " الذي لا ينحصر في واقع المادة وواقع الإنسان. ولا ينحصر في واقع فرد، ولا واقع جيل ولا ينحصر في لحظة ضعف ولحظة هبوط " 4، كما تتعلق بطبيعة المنهج الذي قدمه القرآن للحياة البشرية: {فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها: لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم. ولكن أكثر الناس لا يعلمون} 5، ثم قوله تعالى: {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم} 6. وقد حاول بعض الدارسين الإسلاميين إيجاد بديل للواقعيات الكثيرة وبخاصة الواقعية الاشتراكية بوضع اصطلاح الواقعية الإسلامية كأساس نقدي جديد يجمع بين الواقع والإسلام. لأن " الواقع في الإسلام هو مصدر من مصادر المعرفة. ولكنه ليس المصدر الوحيد ولا هو مصدر الحق الكامل المطلق، والواقع في نظر الإسلام هو ميدان الممارسة الإيمانية للمؤمن ينمي به إيمانه ويثبت يقينه. وهو ميدان التجربة الإيمانية: التجربة التي تطرق كل ميادين الواقع طاعة وعبادة لله: خشوعا وإنابة. فإذا فإن عمل المؤمن كله هو عمل

1 صالح آدم بيلو، المرجع السابق، ص 77.

2 الرعد / 11.

3 التوبة / 105.

4 محمد قطب، المرجع السابق، ص 129.

5 الروم / 30.

6 الإسراء / 9.

الرؤية الإسلامية أ. آمال لواتي

صالح. وإذا الشر هو باب من أبواب الابتلاء والتمحيص والاختبار، يتحول بنعمة الله إلى خير في صبر يمر به المؤمن. ودعاء يتجه به إلى الله: ومعاناة يصلح بها ولا يفسد¹ وتبدو الواقعية الإسلامية في الظاهر أنها "تلتقي مع الواقعية الاشتراكية في جوانب ظاهرية متعددة، ولكنها تختلف عنها في الجذور: إنهما تنفصلان عند الأساس الأكثر حسماً، أقصد الأساس الروحي"².

ويتضح هذا الأساس الروحي الذي كان وجهاً للتفريق بينهما، في أن الواقعية الإسلامية تجمع بين الواقع والحقيقة، وأن الواقع ذو بعد واحد هو الأرض، والحقيقة ذات بعد واحد أيضاً يقابل البعد الأول هو السماء أو الواقع الغيبي، والواقعية الإسلامية هي الرباط السليم المتوازن الذي يجمع بين الأرض والسماء. بين الطبيعة المحسوسة والطبيعة غير المحسوسة³.

5 - الشمولية: وهي تجمع بين المادة والروح، فلا تعرض للصراعات العرقية والاقتصادية والمادية. وتهمل الحقائق المعنوية والقيم الأخلاقية والنوازع الدينية والتطلعات والأشواق الإنسانية العليا. إنها "تعرض لصوره الكاملة بمادياتها ومعنوياتها وقيمتها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية، مترابطة ممتزجة كما هي في حقيقة الواقع، مؤثرة كلها بعضها في بعض... مع إبراز القيم الروحية والمعنوية لان بروزها ذلك حقيقة كونية متصلة بصميم فطرة الكون المتجه بروحه إلى السائر على هداه"⁴. فخاصية الشمول تتجلى في رد كل شيء في هذا الكون. وهذه الحياة إلى الله. وقد قال تعالى: {وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله}⁵.

¹ عدنان النحوي، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ط 2، الرياض، دار النحوي للنشر والتوزيع، 1407 هـ / 1987 م، ص 197.

² أحمد بسام ساعي، الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، ط 1، جدة، دار المنارة، 1405 هـ / 1985 م، ص 15.

³ المرجع نفسه، ص 17.

⁴ محمد قطب، المرجع السابق، ص 128.

⁵ الزخرف / 84.

الرؤية الإسلامية أ. آمال لواتي

فالرؤية الإسلامية تختلف عن كل المذاهب لأنها تنفتح عليها جميعها وقد تنسجم معها في إطار الإيجابية الصادقة لأن "الفن الإسلامي فن منفتح على شتى المذاهب الفنية مادامت منسجمة في اتجاهها وتفاصيلها مع حركة الكون والإنسان الإيجابية في سبيل الحق والعدل الأزليين، وفي إطار الجمال المبدع يعيدا عن التزييف والكذب والتناقض. إنه مرن بحيث يتسع لكل المذاهب ويزيد عليها في سعة نظراته الكونية وعمقها وشمولها. إنه كلاسيكي حين يعبر عن التناسق الرائع للأشياء والقيم الخارجية، وحين يمجّد بطولة الإنسان وإيجابياته إزاء الأحداث وقدرته على تشكيل مصيره. إنه رومانسي حين يعبر عن أعماق الإنسان المؤمن وعن تجاربه الشعورية المتنوعة التي تنبثق عن الإيمان بالله وعن الحب الكبير الذي يتفجر عن هذا الإيمان ويتجه صوب كل الناس وكل الأشياء.. إنه واقعي حين يعلن ثورته الانقلابية على كل القيم المنحرفة عن الصراط المستقيم وعلى كل الطواغيت التي لا تقرها وحدانية الله، والتي يأبأها التحرر الوجداني للإنسان المسلم. ذلك التحرر الذي يبدأ من أعماقه وينتهي بالكون"¹.

وعلى الرغم من ذلك كله فإن الرؤية الإسلامية قد تلتقي مع هذا المذهب أو ذاك لقاء جزئيا، لكنها تظل مستقلة في أصولها وكتلياتها ولا يمكن بحال أن تلتقي مع أي من المذاهب الأدبية الأخرى. لأن "فكرة إيجاد مصطلح يستوعب مئات الكتاب والشعراء ويوحد اتجاهاتهم المتباينة ويضعهم جميعا في سلة واحدة اسمها المذهب الأدبي فكرة قسرية في الأصل سبق وأن حيرت الأدباء والفنانين والنقاد جميعا في الغرب"². وهي بذلك قد تجاوزت المفاهيم القسرية بنظرتها الشمولية الواسعة.

¹ عماد الدين خليل، في النقد الإسلامي المعاصر، ط 3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1407 هـ / 1987 م، ص 40-41.

² أحمد بسام ساعي، المرجع السابق، ص 11.

الرؤية الإسلامية أ. آمال لواتي

فالوجودية مثلاً عقيدة تدور حول الذات البشرية الموجودة وترفض كل ما وراءها وتدعو إلى الحرية في فهم خاص يقوم على أساس تضخيم قيمة الفرد ورفض كل ما من شأنه أن يضطره إلى فعل معين سواء أكان باسم الخالق أم باسم المثل الأعلى الخلقي أو السياسي أو الاجتماعي. وهذه العقيدة لن تستطيع أن تطلق التجربة الشعورية للأديب إلى آفاقها القصية، لأن رفضها لما وراء الوجود يقيد البحث عن الحلول ويمنع التجربة من أن تتلون بمعطيات العالم الغيبي¹. والماركسية تقيد الأديب بالحدود المادية والحسية التي تجعله لا يعتقد في الألوهية والغيبيات، وتدير قضايا الإنسان حول البني الفوقية والتحتية، والصراع الطبقي. وتجعل التجربة الشعورية محدودة لأنها تدفع الأديب إلى أن "يتجرد عن وجدانه وحسه الباطني وعن تطلعاته ومكانه الروحية. وأن يدخل ساحة الفن الماركسي إنساناً مادياً"².

6 - **الانفتاحية:** لا يمكن وضع هذه الرؤية للأدب في قوالب جاهزة وجامدة، فلا بد أن تكون هناك وسطية بين الانفتاح والانغلاق لأن إشكالية النص الأدبي الإسلامي تكمن في الحكم عليه بأنه نص مغلق لسببين هما:

أ- **النفور من المناهج الفنية الحديثة:** وإصدار هذا الحكم يجانب الصواب، لأن الإسلام لا يرفض العطاءات الخصبة والإيجابية، والفن الإسلامي أيضاً "ليس مقيداً بطرائق التعبير ولا موضوعات القرآن. فله أن يختار من الموضوعات والطرائق ما يشاء، ولكنه مقيد بقيد واحد، أن ينبثق عن التصور الإسلامي للوجود الكبير. أو على الأقل ألا يصطدم بالمفاهيم الإسلامية عن الكون والوجود"³.

¹ عبد الباسط بدر، مقدمة النظرية في الأدب الإسلامي، ط 1، جدة، دار المنارة، 1405 هـ / 1985 م، ص 38.

² عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص 201.

³ محمد إقبال عروي، جهالة الأدب الإسلامي، الدار البيضاء، 1986، ص 76.

الرؤية الإسلامية أ. آمال لواتي

والإسلام لم يحدد شروطاً فنية خاصة لأن كل عصر يعيش تحولاً في الحياة وتحولاً في الذوق الجمالي. وهو بحاجة إلى الجديد كما هو بحاجة إلى عدم التنازل عن القديم - أي التراث - فلم يجد الشعراء ذوقاً للتصور الإسلامي "غضاضة في توظيف الرمز والأسطورة، ومعائقة القصيدة الكلية التي تبطل أن تكون لحظة انفعالية، وتصر على أن تكون لحظة تتداخل فيها مختلف الأنواع التعبيرية. نثرًا ووزناً، بثاً وروحاً، غناء وملحمة وقصة"¹.

فيجب أن نحصر شروط الاختيار المثمر من الآداب الأخرى في جملة عناصر منها اختيار الأدب المراد التأثير به. بحسب حاجات الأمة وتوفر الأصالة وتطلب الحذر. وتحتين فرصة الاستقبال الحسن ليكتمل التلقيح ويثمر في صورة أصيلة لها طابعها المميز²، لأن معظم الفنون من رواية وقصة ومسرحية ما هي إلا قوالب فنية مرنة تطوع تقنياتها وأساليبها وتملاً بأي مضمون إنساني خاضع لثنائية الاتفاق والاختلاف.

ولهذا فرفض تسمية الإسلامية لا يعني البتة الانغلاق وعدم الانفتاح على المعطيات الأدبية في العالم. فهناك ما يمكن تسميته بالاختيار الحضاري الإسلامي وهو الذي أنشأ حضارة المسلمين في عصورها المعطاء، وهو الذي هيا لهم أن يتسلموا زمام المبادرة وأن يتولوا قيادة التراث البشري بنجاح منقطع النظير وسط عواصف الجاهلية وأنوائها التي أحاطت بهم من كل مكان ... وهو الذي يتيح لكل إنسان مسلم في كل أونة. وفي كل مكان. فرصة الاختيار إزاء ما يحيط به من حضارات³.

ب - العودة إلى التراث: وفي ذلك خلط بين التراث كرسيد معرفي وحضاري وبين الإسلام كوحي رباني، والسبب الرئيسي الذي يكمن وراء تركيز بعضهم على هذا الاتهام "هو علاقة المسلم بالقرآن والسنة. فهذه العلاقة التي تنطلق من أغوار النفس وتنعكس على السلوك الفردي

1 المرجع نفسه، ص 76

2 انظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، بيروت، دار العودة، 1983، ص 9 - 19.

3 عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص 180.

الرؤية الإسلامية أ. آمال لواتي

والجماعي، توهّمهم بارتباطه بالماضي وتقديسه. ولو ميزوا قليلا بين القرآن والسنة وبين التراث الفكري والأدبي للأمة الإسلامية لا دركوا حقيقة الأمر " 1.

وهذه الحقيقة تتعلق بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، "فهما لا يمكن اعتبارهما موروثا، وذلك أن الموروث نعني به كل إنتاج أنتجته الذهنية الإسلامية، أما القرآن والسنة، فيمثلان الوحي الإلهي الذي لا يحصره زمان ولا مكان" 2.

ومن الطبيعي أن يكون المورد الأول لهذه الرؤية هو القرآن الكريم، فتشيع المسلم بروح القرآن تعكس بالضرورة تلك الروح في مجالات إبداعه على مستوى المعنى والمبنى. والمورد الثاني هو التراث الذي ترفضه الرؤية الحداثيّة، لأنّه يظل "التجربة العملية والفكرية للمسلمين أثناء استجابتهم للإسلام وتعاملهم مع قضاياها، ويشكل علاقته مع المسلمين عبر عنصر الاستفادة. أو لنقل "العبرة" حسب التعبير القرآني، وهو عنصر شامل لكل حركة سواء في المجال الفكري أم السياسي أم الاقتصادي، وهو لذلك لا يخرج عن الإطار المحدد، ولا يمكنه أن يصل إلى ما يتوهمه البعض من تقديس وانكفاء على معطياته " 3.

لكن الرؤية الإسلامية تمعن النظر في التراث بتضمين رؤية شمولية تتجاوز الحدود الزمنية بوقوفها على المعاني الثابتة والقيم الخالدة والمحتويات الإيجابية والإنسانية التي ساهمت به الحضارة العربية الإسلامية في التقدم الروحي والمادي للبشرية. كما أنها تغذي الرؤية المعاصرة بغربة ذلك التراث وتقديمه في إطار ثقافة إسلامية هادفة ومعاصرة. فلا تعمل على تدنيسه أو تقديسه وإنما على الاستئناس به لربط الماضي بالحاضر من خلال رصيده اللغوي والبلاغي ورموزه التاريخية الكفيلة بتقديم رؤية لها بعد حضاري أصيل.

1 محمد إقبال عروي، المرجع السابق، ص 91.

2 المرجع نفسه، ص 92.

3 المرجع نفسه، ص 81.